



ما بعد الكولونيالية والأنثى المتمردة: تجليات التمرد في الشعر النسوي الجزائري المعاصر

'Postcolonialism and the Rebel Female: The Manifestations of Rebellion in Contemporary Algerian Feminist Poetry'

عبد العزيز العايب*

جامعة محمد بوضياف
المسيلة (الجزائر)

abdelaziz.laieb@univ-msila.dz

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2025/02/28	تتناول هذه الدراسة تجليات التمرد النسوي في الشعر الجزائري المعاصر من منظور النقد ما بعد الكولونيالي، مركزة على تفكيك خطاب الهيمنة الذكورية والاستعمارية. تكشف النتائج عن استخدام الشاعرات لاستراتيجيات مثل الانزياح اللغوي، وتوظيف الرموز الأسطورية، لإعادة تعريف الذات الأنثوية كفاعل مقاوم وليس كموضوع خاضع. كما يُظهر البحث كيف يتجاوز الشعر النسوي الجزائري النقد الاجتماعي إلى مساءلة البنى الاستعمارية والسلطوية.
تاريخ القبول: 2025/04/30	
الكلمات المفتاحية: ✓ النقد ما بعد الكولونيالي ✓ التمرد النسوي ✓ الخطاب الأنثوي ✓ الشعر الجزائري المعاصر	
Article info	Abstract :
Received 28/02/2025	This study examines the manifestations of feminist rebellion in contemporary Algerian poetry through a postcolonial critical lens, focusing on the deconstruction of patriarchal and colonial discourses of dominance. The findings reveal how female poets employ strategies such as linguistic subversion and the use of mythological symbols to reframe the feminine self as an active resistor, rather than a passive subject. The research further illustrates how Algerian women's poetry moves beyond social critique to challenge colonial and authoritarian structures.
Accepted 30/04/2025	
Keywords: ✓ Postcolonial Criticism ✓ Feminist Rebellion ✓ Feminine Discourse ✓ Contemporary Algerian Poetry	

1. مقدمة:

يُعدُّ الشعورُ فضاءً تعبيرياً حيويًا لالتقاط التحولات الجوهرية التي تعصف بالمجتمعات، سواء على المستوى السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي. فهو لا يكتفي بتسجيل الواقع، بل يُعيد تشكيله عبر لغةٍ تختزق المألوف، وتكشف عن التناقضات الكامنة في بني السلطة. وفي السياق الجزائري- حيث تتداخل آثار الاستعمار الفرنسي مع إرث الهيمنة الذكورية- يبرز الشعر النسوي المعاصر (2000-2023) كأداةٍ فاعلةٍ لإعادة تعريف الذات الأنثوية التي ظلت لسنواتٍ حبيسةً خطابين متقاطعين: خطاب استعماري يفرض ثقافة هجينة، وخطاب أبوي/ذكوريٍّ يحصرها ضمن أدوارٍ نمطية.

لم تكن معركة المرأة الجزائرية بعد الاستقلال (1962) معركةً وجوديةً فحسب، بل كانت أيضًا معركة ثقافيةٍ لانتزاع حقها في إعادة كتابة تاريخ طُمست فيه أدوارها، وقد تجلّى هذا النضال في الإبداع الشعري الذي تحوّل إلى منبرٍ للتعبير عن رفض القيود المزدوجة: قيود الاستعمار الذي استلب الهوية، وقيود التقاليد التي حاصرت الجسد الأنثوي. فالشاعرات الجزائريات المعاصرات لم يكتفين بتزديد خطاب الاحتجاج، بل شققن طريقًا نحو تفكيك الأنظمة الرمزية التي تحكم العلاقة بين الذات والآخر.

يُقدّم النقد ما بعد الكولونيالي عدسةً نقديةً لفهم هذا التمرد، كاشفًا عن كيفية تحوّل الشعر إلى ساحةٍ لمواجهة الإرث الاستعماري الممتدّ في البنى الاجتماعية والثقافية؛ فمن خلال أعمال مفكرين مثل غايتري سبيفاك، التي تحدثت عن "استحالة صوت التابع"، وفرانز فانون، الذي حلل عقدة النقص التي يزرعها الاستعمار، يمكن قراءة الخطاب الشعري النسوي الجزائري بوصفه محاولةً لاستعادة هويّة تتقاسمها لغاتٌ متعدّدة (العربية، الأمازيغية، الفرنسية)، وثقافاتٌ متباينة.

تسعى هذه الدراسة إلى كشف الآليات الجمالية والفكرية التي تعتمدها الشاعرات الجزائريات في تشكيل خطابٍ تمردٍ، يعيد تعريف الأنثى؛ ليس كضحيةٍ للتاريخ، بل كفاعلةٍ في صنعه؛ وذلك عبر تحليل خصائص فنيّة وموضوعاتيةٍ مثل: الانزياح اللغوي الذي يكسر سلطة اللغة الذكورية، واستعادة الرموز التراثية لصياغة سردياتٍ مضادة، وإعادة قراءة التاريخ الوطني من منظورٍ نسوي.

كما تتغيّ الدراسة الوقوف على تجليات التمرد النسوي في الشعر الجزائري المعاصر (2000-2023)، مستندةً إلى إطارٍ نظريٍّ يجمع بين النقد ما بعد الكولونيالي والدراسات النسوية، لتحليل كيفية تعامل الشاعرات مع إشكالية الهوية في سياقٍ تتقاطع فيه السلطات الاستعمارية والذكورية؛ ولتحقيق هذا المرمى يُطرح السؤالان المركزيان التاليان:

- كيف يعيد الخطاب الشعري النسوي الجزائري تشكيل الهوية الأنثوية في مواجهة تقاطعات الاستعمار والأبوية؟

- وما الاستراتيجيات الجمالية التي تعتمدها الشاعرات الجزائريات المعاصرات لتفكيك الخطابين: الاستعماري والذكوري؟

إنّ التمرد النسوي في الشعر الجزائري المعاصر ظاهرة معقدة تتجاوز البعد الجندي لتشمل أبعادًا ثقافية واستعمارية، حيث تعكس القصائد النسوية رفضًا للهيمنة بأشكالها المختلفة، سواء كانت ذكورية أو استعمارية. وبآلية تحليل النصوص الشعرية، يمكن ملاحظة أن الشاعرات الجزائريات يوظفن استراتيجيات لغوية وثقافية متداخلة لإعادة تعريف الهوية الأنثوية وتعزيز خطاب المقاومة.

إنّ أهمية هذه الدراسة - في ما أقدر - تكمن في سدّ فجوةٍ بحثيةٍ حول الانزياح النسوي في الشعر الجزائري المعاصر، الذي لم يُدرس بعدُ بشكلٍ وافٍ في إطار تقاطعات الجندر والاستعمار. كما تقدم قراءةً جديدةً لمفهوم "التحرر" الذي يجمع بين البعدين الثقافي والجندي، مما يسهم في إثراء النقاشات حول أدب ما بعد الاستعمار والنسوية العالمية.

اعتمدت الدراسة المنهج التفكيكي لتحليل خطاب السلطة في النصوص الشعرية، مستعينةً بالنقد ما بعد الكولونيالي لفهم تداعيات الاستعمار الثقافي. كما استخدمت أدوات السيميائيات الثقافية لفحص الرموز الدينية والتراثية. وقد شمل التطبيق عينًا من المنجز الشعري النسوي الجزائري المعاصر الذي اتخذ التمرد - جماليا وفكريا - تيمته الرئيسة، وسؤاله المركزي.

2. الأسس النظرية للتمرد النسوي في السياق ما بعد الكولونيالي:

1.2 في مفهوم التمرد النسوي:

يشير التمرد النسوي إلى الممارسات الفكرية والفنية التي تتحدى الهياكل السلطوية المزدوجة: الذكورية والاستعمارية، بهدف تفكيكها وإعادة تشكيل الهوية الأنثوية خارج أطر القمع. تطوّر هذا المفهوم عبر مراحل تاريخية، بدءًا من الحركات النسوية الغربية في القرن التاسع عشر التي ركزت على الحقوق القانونية، وصولاً إلى نسوية ما بعد الاستعمار التي تهتم بتقاطعات الجندر والعرق والطبقة. (السعداوي، 2001، ص: 78)

2.2 بين التمرد النسوي والحركات النسوية التقليدية:

لطالما ركزت الحركات النسوية التقليدية على تحقيق المساواة القانونية بين الجنسين، مستندةً إلى مطالب واضحة تتعلق بالحقوق المدنية والسياسية، مثل حق التصويت والعمل والتعليم. غير أن التمرد النسوي يتجاوز هذه الأطر التشريعية إلى مساءلة الأسس العميقة التي تتركس التمييز (Mohanty, 2003, p: 45)، سواء على المستوى الثقافي أو الرمزي؛ فالأنظمة الاجتماعية لا تتركس التفاوت بين الجنسين فقط عبر القوانين، بل أيضًا من خلال أنماط التفكير والعادات والصور النمطية التي علقّت بالذاكرة الجماعية عبر الأجيال. يحمل هذا التمرد في الشعر النسوي الجزائري -المستهدف بالدراسة- بعدًا أكثر تعقيدًا، إذ لا ينفصل نضال المرأة عن الإرث الاستعماري الذي ترك بصماته العميقة على الهوية الوطنية. وكما يشير فرانز فانون، فإن الاستعمار لم يكن مجرد احتلال للأرض، بل كان أيضًا احتلالًا للعقول والرموز، حيث سعى إلى إعادة تشكيل الهوية الجزائرية وفق منظوره الخاص، مستخدمًا المرأة كأداة في هذه العملية؛ فقد حاول المستعمر الفرنسي فرض تصوّراته حول المرأة الجزائرية، إما عبر تصويرها كرمز للتقاليد الجامدة التي يجب تحريرها وفق المنظور الغربي، أو من خلال استغلالها لزعة البنية المجتمعية المحلية.

في هذا الإطار، لا يعدّ التمرد النسوي الجزائري مجرد صراع ضد الذكورية، بل هو مواجهة مزدوجة مع الاستعمار ومخلفاته الثقافية؛ إنّه نضالٌ لإعادة تعريف الذات بعيدًا عن الصور النمطية المفروضة، سواء تلك التي فرضها المستعمر، أو تلك التي رسّختها الهياكل الاجتماعية التقليدية؛ من هنا يصبح الشعر والفن والأدب أدوات فعالة في هذا التمرد، حيث تعيد النساء عبر إبداعهن رسم معالم هوية أصيلة لكنّها متحرّرة؛ تجمع بين التراث والانفتاح، وبين الخصوصية والكونية. (فانون، 2004، ص: 120)

2.3 دور الأدب في تشكيل خطاب التمرد:

كان الأدب سلاحًا لمواجهة الأنظمة القمعية والهياكل السلطوية، إذ يتيح فضاءً للتعبير الحر والتحدّي غير المباشر لما هو سائد. وكما ترى "نوال السعداوي"، فإن الكتابة ليست مجرد فعل إبداعي، بل هي "ثورة هادئة" قادرة على كشف المستور وزعزعة القواعد الراسخة. في رواياتها، لم تكتفِ السعداوي بعرض قضايا المرأة، بل عرّت البنى العميقة التي تتركس التمييز، ووضعت المجتمعات العربية أمام مرآة صادمة لاضطهاد المرأة، (السعداوي، 1975، ص: 33) سواء على المستوى الاجتماعي أو الديني أو القانوني.

أمّا فاطمة المرنيسي، فذهبت إلى ما هو أبعد من التوصيف الواقعي للمشكلات، حيث وظفت أدوات التحليل التاريخي لإعادة قراءة التراث الإسلامي، متصديةً للروايات الأحادية التي حجبت الدور الحقيقي للمرأة في التاريخ الإسلامي. فمن خلال البحث في النصوص التاريخية، (المرنيسي، 1991، ص: 89) قدّمت المرنيسي سرديات مضادة تعيد الاعتبار لنساء لعبن أدوارًا بارزة في الحضارة الإسلامية، لكنها

أُهمّلت أو حُرّفت بسبب النظرة الذكورية المهيمنة؛ وبهذا، أصبح الأدب النسوي ليس فقط مساحة للتعبير، بل مشروعًا فكريًا يعيد تشكيل الوعي الجماعي.

يمتدّ هذا التمرد في الجزائر إلى الشعر، حيث تعيد الشاعرات كتابة الأساطير المحلية لمواجهة الهيمنة الذكورية في السرد الثقافي؛ فأسطورة "تين هينان" -مثلًا- لم تعد مجرد قصة ملكة أمازيغية من الماضي، بل أصبحت رمزًا للمقاومة الأنثوية، وإعادة تعريف دور المرأة في المجتمع. ففي قصائدهن، تقوم الشاعرات الجزائريات بإعادة تشكيل الرموز والأساطير، ليس كحكايات جامدة، بل كأدوات لتحرير المخيال الجماعي، وإعادة توجيه الوعي الثقافي نحو سرد أكثر عدالة. (الفاروق، 2019، ص: 22)

و بهذا يتحوّل الأدب إلى أكثر من مجرد وسيلة للتعبير؛ إذ يصبح مساحة للمواجهة وإعادة البناء، حيث تكتب الذات الشاعرة/المبدعة الأنثوية لا بوصفها ضحية، بل بوصفها فاعلا مؤثرًا في إعادة صياغة التاريخ والثقافة.

3. النقد مابعد الكولونيالي وأدواته التحليلية:

3.1 نشأة مفهوم مابعد الكولونيالية ومنظوره:

تبلور النقد ما بعد الكولونيالي في ثمانينيات القرن العشرين كحركة فكرية تسعى إلى تفكيك الخطابات الاستعمارية والكشف عن آثارها العميقة على الهوية والثقافة في المجتمعات المستعمرة. وقد أسهمت مجموعة من المفكرين في تطوير هذا الحقل، كلٌّ منهم من زاوية مختلفة، مما أدى إلى تشكيل نسيج نظري متكامل يستند إلى التاريخ، والفلسفة، وعلم الاجتماع، والتحليل النفسي.

يعد "إدوارد سعيد" من أبرز رواد هذا التيار، حيث قدّم في كتابه "الاستشراق" (1978) تحليلًا نقديًا للطريقة التي صوّر بها الغرب الشرق، ويبيّن أن هذا التمثيل لم يكن محايدًا أو موضوعيًا، بل كان جزءًا من خطاب استعماري رسّخ صورة الشرق كفضاء متخلف ولا عقلاني، في مقابل الغرب المتحضر والمتفوق. وقد كشف كيف استُخدمت هذه الصور لتبرير الهيمنة الغربية، وإضفاء الشرعية على الاستعمار. (Said, 1978, p3)

من زاوية أخرى قدّمت "غاياتري سبيفاك" مفهوم "التابع"، متسائلة في مقالها الشهير "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟" (1988) عن قدرة الفئات المهمشة -خاصة النساء في المستعمرات السابقة- على التعبير عن ذاتها داخل الخطاب المهيمن. وأشارت إلى أن الخطاب الاستعماري لم يقتصر على السيطرة السياسية والاقتصادية، بل امتد إلى إسكات أصوات الشعوب المستعمرة، مما يجعل مقاومة هذا الخطاب تتطلب استراتيجيات فكرية جديدة تعيد الاعتبار لهؤلاء المهمشين. (Spivak, 1988, p24)

أما "فرانز فانون" فقد ركّز على الآثار النفسية والاجتماعية للاستعمار -خاصة في كتابه "معذبو الأرض" (1961)- بتحليله؛ كيف أدى الاستعمار إلى تشويه الهوية الوطنية للشعوب المستعمرة، مما أوجد أزمة انتماء وتبعية ثقافية. كما رأى أن التحرر من الاستعمار لا يقتصر على الاستقلال السياسي، بل يستوجب أيضًا تحرير العقل من آثار الاستعمار الداخلي، وهو ما جعل أفكاره مرجعًا أساسيًا لحركات التحرر في إفريقيا والعالم العربي. (فانون، 2004، ص: 67)

وهكذا يمثّل النقد ما بعد الكولونيالي مشروعًا فكريًا يعيد النظر في الإرث الاستعماري، ليس فقط من خلال دراسة التاريخ، بل عبر تفكيك الخطابات التي ساهمت في استمراره بشكل غير مباشر حتى بعد زوال الاستعمار الرسمي.

3.2 المرأة الجزائرية في كتابات ما بعد الكولونيالية:

لقد كانت المرأة الجزائرية محوراً للنقاش في الدراسات ما بعد الكولونيالية، حيث أُعيد النظر في تمثيلها داخل الخطابات الثورية وما بعد الاستعمارية؛ ففي كتابه "معذبو الأرض" (1961)، اعتبر "فرانز فانون" المرأة الجزائرية رمزاً للمقاومة خلال الثورة التحريرية (1954-1962)، لأنها أدت دوراً محورياً في دعم جبهات القتال، سواء عبر حمل السلاح، أو وضع القنابل في الأماكن العامة، أو تقديم الإمدادات اللوجيستية للمجاهدين. لكن هذا التصور، رغم أهميته، تعرض لاحقاً لانتقادات؛ لعل أبرزها ما طرحته الباحثة: مارينا لازريغ، التي أشارت إلى أن "فانون" تعامل مع المرأة كأيقونة ثورية دون أن يتناول تعقيدات تجربتها الفردية والاجتماعية خارج إطار الصورة الرومانسية للمقاومة. (Lazreg, 1994, p112)

وبعد الاستقلال، تحولت شعارات تحرير المرأة -التي رُفعت خلال الثورة- إلى أداة خطابية لشرعنة مشروع الهوية الوطنية، وهو ما أدى إلى إعادة إنتاج خطاب ذكوري مهيمن، وإن كان بصيغة جديدة. فقد وُضعت المرأة في موقع رمزي كـ "حافضة للقيم الوطنية"، لكن دون منحها فعلياً مساحة للاستقلال الذاتي أو المشاركة المتكافئة في بناء الدولة الحديثة. وهكذا، أصبحت المرأة الجزائرية عالقة بين إرث استعماري فرض عليها تهميشاً مزدوجاً، وثورة وعدت بتحريرها لكنها أخضعتها لرؤية ذكورية جديدة، مما يجعل إعادة قراءة هذه التجربة ضرورة لفهم التناقضات التي شكلت الهوية النسوية الجزائرية في حقبة ما بعد الاستعمار.

3.3 تقاطعات الجندر والاستعمار في الأدب:

لم تكن المرأة في المجتمعات المستعمرة مجرد متلقٍ سلبي للهيمنة، بل شكّلت نقطة توتر محورية في الخطابات الكولونيالية والوطنية على حدّ سواء؛ ففي الوقت الذي سوّج فيه الاستعمار تدخّله بادّعاء "تحرير المرأة"، كما تُحلل "غاياتري سبيفاك" في مقالها "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟"، كانت المرأة أداةً رمزية تُستخدم لإضفاء الشرعية على السيطرة الغربية، (Spivak, 1988) ومن جهة أخرى لم يكن الخطاب الوطني بمنأى عن هذه الإشكالية؛ إذ أعاد صياغة دور المرأة ضمن إطار هوية قومية تقليدية، وغالباً ما فرض عليها أدواراً نمطية بعد الاستقلال (Lazreg, 1994).

في مواجهة هذه الثنائيات، استخدمت الشاعرات الجزائريات الشعر كأداة لاستعادة الجسد والذاكرة، متجاوزات بذلك كلاً من التصوّرات الاستعمارية والذكورية المحلية؛ فلم يعد الجسد الأنثوي فضاءً للهيمنة، بل تحول إلى مساحة مقاومة تعيد فيها النساء كتابة سردياتهن الخاصة، بعيداً عن الصورة النمطية للضحية أو "المرأة المستغيثة/المستنجدة".

4. الشعر النسوي وجماليات المقاومة:

4.1 الشعر والسلطة:

بعد الشعر فضاءً مفتوحاً للصراع الرمزي؛ لأنّ الكلمة تتجاوز حدود الإبداع؛ فتصبح أداةً لمقاومة السلطة بأشكالها المختلفة. وقد نجحت الشاعرات الجزائريات في توظيف الشعر كوسيلة لتفكيك الخطابات المهيمنة، سواء الاستعمارية أو الذكورية، عبر إعادة تشكيل اللغة والرموز الثقافية.

إنّ قصيدة "أنا الجزائر" لفضيلة الفاروق، يتجلى فيها التحدي من خلال مزج العربية بالأمازيغية، ولا يكون هذا التداخل اللغوي مجرد تنوع أسلوبي، بل هو رفض واعٍ للتقسيم الاستعماري للغات والهويات؛ فبينما سعى الاستعمار إلى ترسيخ القطيعة بين المكونات

الثقافية الجزائرية يُعيد الشعر النسوي بناء هذه الجسور، لبؤكّد أن الهوية الوطنية كيان متجدد ومتعدد الأصوات، وليس نموذجاً أحادياً جامداً.

وبهذا يتحوّل الشعر النسوي الجزائري إلى شكل من أشكال المقاومة الهادئة؛ فُتستعاد اللغة، والتاريخ، والجسد الأنثوي بوصفها مساحات للتحرر والتعبير، متجاوزةً بذلك كل محاولات الاختزال والتهميش. (الفاروق، ص15)

4. 2 الشعر النسوي وخصائصه الفنية:

أ- الانزياح اللغوي (كسر قواعد اللغة الفصحى لخلق لغة هجينة تعكس التعدد الثقافي):

يتجاوز الشعر النسوي الجزائري البناء التقليدي للغة العربية، إذ تلجأ الشاعرات إلى تفكيك البنية اللغوية الكلاسيكية عبر إدخال مفردات عامية، وأمازيغية، وفرنسية، الأمر الذي يعكس الواقع اللغوي المتعدد في الجزائر. إنّ هذا الانزياح اللغوي لا يعد خرقاً للمعايير اللغوية فحسب، بل هو موقف سياسي وثقافي يؤكد رفض الهيمنة اللغوية التي فرضها الاستعمار أو السلطة الذكورية.

ب- الرمزية المزدوجة (استخدام رموز تراثية (كالحناء) بمعانٍ جديدة تُعلي من قيمة الأنثى):

يعيد الشعر النسوي إنتاج الرموز التقليدية بمنظور جديد، لتتحول الحناء، أو الحايك، أو الوشم الأمازيغي -مثلاً- من مجرد عناصر فولكلورية إلى رموز مقاومة تُعبّر عن القوة الأنثوية والتحدى. فالحناء، -على سبيل التمثيل- التي ارتبطت سابقاً بمراسم الزفاف، تصبح في بعض القصائد علامة على الاستقلال والتمرد، وكأنها كتابة غير مرئية على الجسد تحمل إرثاً من المقاومة الصامتة. (Amirech, 2000, p77)

ج- التناسل التاريخي (إعادة كتابة أحداث الثورة الجزائرية من منظور نسوي، كما في قصائد نادية مرسلية):

يكشف التناسل التاريخي في الشعر النسوي عن رغبة في إعادة تأويل الماضي من زاوية مختلفة؛ فبينما احتكر الخطاب الرسمي رواية الثورة التحريرية، تُقدّم الشاعرات قراءة بديلة تُبرز الأدوار المخفية للمرأة الجزائرية؛ فتروي قصائد "نادية مرسلية" -مثلاً- أحداث الثورة عبر عيون المرأة المناضلة لا بوصفها مجرد مساندة للرجل، بل كفاعل أساسي؛ يُعيد كتابة تاريخ الوطن بصوت أنثوي مستقل. (مرسلية، 2015، ص: 44)

4. 3 الشعر النسوي الجزائري و بعض التجارب العربية:

يُعدّ الشعر النسوي العربي ساحةً غنيةً للتعبير عن قضايا المرأة، فتتعدد أساليبه واتجاهاته وفقاً للسياقات الثقافية والسياسية لكل بلد، ورغم وجود قواسم مشتركة بين التجارب النسوية الشعرية في الجزائر، وفي مصر، والمغرب، فإنّ لكل تجربة طابعاً خاصاً يتميز بتاريخه السياسي والاجتماعي.

أ- التمرد النسوي في الشعر المصري (بين الحداثة وتجاوز المحظور):

اتّخذ التمرد النسوي في مصر شكلاً صريحاً، خاصةً مع "نازك الملائكة" التي ساهمت في إحداث ثورة شعرية؛ ليس فقط من حيث المضمون، بل أيضاً من حيث الشكل، إذ كانت من رواد الشعر الحرّ الذي كسر القوالب التقليدية للقصيدة العربية، (الملائكة، 1962، ص: 22) عالجت الملائكة موضوعات مثل الحرية، الفردانية، وكسر المحظورات الدينية والاجتماعية؛ بما جعل شعرها صدامياً في بعض الأحيان. وقد تبعها شاعرات أخريات؛ مثل "فدوى طوقان" التي ركّزت على معاناة المرأة داخل النظام الأبوي، و"منى المحمود" التي كتبت عن الجسد كمساحة مقاومة. (عبدالحليم، 2005، ص: 112-130)

ب- الشعر النسوي المغربي (تفكيك الاستعمار والبطيركية):

حمل الشعر النسوي المغربي بُعْدًا مزدوجًا، حيث لم تقتصر القضايا المطروحة على تحرر المرأة من السلطة الذكورية، بل امتدت إلى تفكيك الإرث الاستعماري الذي ساهم في تكريس أشكال جديدة من التبعية الثقافية والاجتماعية؛ لقد تميّز شعر "مريم الناصري" -على سبيل المثال- بتقديم رؤية نقدية تجمع بين نقد البطيركية المحلية والاستعمار الفرنسي الذي فرض تصورات غريبة عن المرأة، ممّا خلق واقعًا معقدًا للمرأة المغربية بين تراثها المحلي، ومتطلبات الحداثة المفروضة خارجيا (المرنيسي، 1995، ص: 73) ومن هنا يمكن القول؛ إن الشعر المغربي النسوي لم يكن مجرد أداة احتجاج ضد المجتمع الذكوري، بل كان أيضًا إعادة مساءلة للهوية الوطنية في سياق ما بعد الاستعمار.

ج - الشعر النسوي الجزائري (الهوية حين تتجاوزها لغتان):

أما الشعر النسوي الجزائري، فينفرد بتركيزه على الثنائية اللغوية (العربية/الفرنسية) التي أصبحت استعارة مركزية تعكس الهوية ذات الطرفين المتجادبين بعد الاستعمار؛ إذ أن كثيرًا من الشاعرات الجزائريات كتبن بالفرنسية؛ إما عن وعي كجزء من استعادة لغة المستعمر وإعادة توظيفها، أو نتيجة لنظام تعليمي فرض هذه اللغة كلغة ثقافة. فنجد "آسيا جبار" -رغم أنها كتبت بالفرنسية- تستخدم شعرها لإعادة قراءة تاريخ المرأة الجزائرية ومقاومتها للاستعمار؛ من خلال لغة المستعمر نفسه، وعلى الجانب الآخر نجد شاعرات مثل: "نادية مرسلي" اللواتي وظفن اللغة الهجينة -بالمزاجية بين العربية والفرنسية- كأداة تعبير عن التصدع الهوياتي الذي تعاني منه النساء الجزائريات في ظل إرث الاستعمار والتقاليد المحلية. (مرسلي، 2018، ص: 55-72)

4. تقاطعات التجارب الشعرية السالفة:

على الرغم من الفروقات الواضحة بين التجارب الشعرية النسوية المشار إليها، فإنّ هناك نقاط تقاطع تجمعها تُجملها في الآتي:

أ- كسر القوالب الشعرية التقليدية: سواء من خلال الشكل الحر (نازك الملائكة)، أو من خلال لغة هجينة جديدة (الشعر الجزائري).

ب- التمرد على السلطة الذكورية: سواء من خلال تناول موضوعات الجسد والهوية، أو من خلال استعادة دور المرأة في التاريخ الوطني.

ج- إعادة قراءة الموروث الثقافي، حيث استخدمت الشاعرات الأساطير، والتراث الشعبي لإعادة صياغة تصورات جديدة عن المرأة، ودورها في المجتمع.

فأمكن الاستخلاص؛ أنّ الشعر النسوي العربي لم يكن مجرد وسيلة تعبير، بل كان أداة مقاومة وإعادة تشكيل للهوية الثقافية؛ سواء في مواجهة الاستعمار، أو السلطة الأبوية، أو القيود اللغوية المفروضة على النساء في المجتمعات العربية.

5. تحليل مظاهر التمرد النسوي في الشعر الجزائري المعاصر:

1.5. استراتيجيات تفكيك الهيمنة المزدوجة:

أ. الانزياح اللغوي (كسر قواعد اللغة المألوفة):

يُمارس الانزياح اللغوي في الشعر النسوي الجزائري كفعل تمردٍ ضد هيمنة اللغة الذكورية التي تُكرّس التراتيبات الجندرية. فاستخدام العامية الجزائرية — المليئة بالمفردات الأمازيغية والفرنسية — ليس مجرد خيار جمالي، بل هو تحدٍّ للغة الفصحى التي ارتبطت تاريخيًا بالخطاب الذكوري المهيمن (الزواوي، 2021، ص: 15) على سبيل المثال؛ تُدخل الشاعرة "أمنية الزواوي" في قصيدتها "حَجْرِي لَيْسَ سَجْنًا" مصطلحاتٍ دارجةً مثل "تَبْوَع" (تعويذة) لخلق لغةٍ هجينة تُعبر عن التعددية الثقافية. (bhabha, 1994, p: 55)

ب. توظيف الرموز التراثية (استدعاء الشخصيات التاريخية والأسطورية):

تُعيد الشاعرات الجزائريات تشكيل الرموز التراثية — مثل "ليلي" و"تين هينان" — لتفكيك السرديات الذكورية التي حوّلتها إلى مجرد شخصياتٍ سلبية (مرسلي، 2020، ص: 22)؛ ففي قصيدة "أنا تين هينان"، تقدّم "نادية مرسلي" الملكة الأمازيغية كرمزٍ للقوة الأنثوية التي تتحدى التهميش المزدوج (الاستعماري والذكوري)، هذا التوظيف يُعيد الاعتبار للتراث كمصدرٍ للمقاومة، لا كأداةٍ لتكريس التخلف. (Mohanty, 2003, p: 89)

ج. السرد المضاد (إعادة كتابة تاريخ الثورة الجزائرية):

لا يقتصر السرد المضاد في الشعر النسوي الجزائري على استعادة أدوار المرأة في الثورة التحريرية (1954-1962)، بل يتجاوز ذلك إلى مساءلة الخطاب الرسمي الذي اختزلها في صورة "المناضلة الأم"، مكرّسًا دورها ضمن سردية تقليدية تعيد إنتاج الهيمنة الذكورية. تسعى الشاعرات إلى تفكيك هذه الصورة النمطية عبر إعادة قراءة التاريخ من منظورٍ أنثويّ، يُبرز تعقيدات التجربة النسوية في الحرب وما بعدها. ففي ديوان "نساء الظل"، تطرح "فضيلة الفاروق" رؤية نقدية لدور المرأة، موثقةً كيف انتقلت من "حاملة للسلاح" إلى "حاملة للذاكرة"، في إشارةٍ إلى إقصائها التدريجي من المشهد السياسي بعد الاستقلال (الفاروق، 2015، ص: 56)، هذا التحول يعكس مفارقة مريّة؛ حيث تحوّلت البطولات النسائية من فعلٍ مقاومٍ إلى مجرد ذكرى تُستدعى في المناسبات الوطنية دون ترجمة حقيقية إلى مكتسبات سياسية أو اجتماعية.

من خلال هذا السرد المضاد، يعيد الشعر النسوي إنتاج الرواية التاريخية بأسلوبٍ يرفض الأحادية، ليكشف (المسكوت عنه) في الذاكرة الجماعية؛ ويؤكد أنّ التمرد على الخطاب الرسمي هو في جوهره مقاومة جديدة من أجل تحقيق العدالة التاريخية للمرأة الجزائرية.

6. أثر التمرد النسوي في الخطاب الشعري الجزائري:

6.1 الثورة على معايير الشعر التقليدي:

تمكّنت الشاعرات الجزائريات من تفكيك البنية الذكورية المهيمنة على الشعر عبر إعادة تشكيل أدواته الجمالية والرمزية، مستفيداتٍ من السياق الثقافي المتعدّد (العربي/الفرنسي/الأمازيغي) لتحديث اللغة الشعرية، وخلق خطابٍ يعكس تجربة المرأة الجزائرية المعقدة؛ وتحقّق ذلك من خلال:

أ- تغيير اللغة:

استبدلت الشاعرات اللغة الشعرية التقليدية (العربية الفصحى غالبًا) بلغة هجينة تدمج العربية بالفرنسية والأمازيغية والدارجة الجزائرية، كتعبيرٍ عن رفض الثنائيات الاستعمارية والذكورية، ففي قصيدة "هجنة" لأمنية الزواوي، نقرأ:

"أنا لُغَةٌ تَتَكَسَّرُ عَلَى أَغْشَاشِ الحُرُوفِ، عَرَبِيَّةٌ تَرْقُصُ عَلَى إِنْقَاعِ كَلِمَاتِ بَرَبْرِيَّةٍ" (الزواوي، 2013، ص: 33)

ب- تحدي الرموز الذكورية:

حوّلت الشاعرات الرموز التي استُخدمت تاريخيًا لقمع المرأة إلى أدواتٍ للتححرّر. فـ"الحجاب" -الذي كان يوحى بالعقّة والحياء- أصبح في قصيدة "عُقْدُ النور" لفضيلة الفاروق علامةً على التمرد:

"أَنْسُجُ حِجَابِي مِنْ شَعْرِي، فَيَصِيرُ نَاجًا لَأَنْثَى لَا تَخْشَى الْوُجُودَ" (الفاروق، 2015، ص: 12)

ج- تشظي الإيقاع والتنوّع القافوي:

تمزّدت الشاعرات على البنية الإيقاعية الصارمة للشعر العمودي/الكلاسيكي، واعتمدن إيقاعاتٍ حرّةً تعكس تشظي الذات الأنثوية في مجتمعٍ يرفض اعتناقها؛ ففي ديوان "أشلاء أنثى" لـ"نادية مرسللي"، تُكسر القافية التقليدية لصالح لغةٍ شعريّةٍ متقطّعةٍ تُحاكي أنفاسَ امرأةٍ منهكة:

"أَقْطَعُ الْكَلِمَاتِ... لَأَسْقُطَ فِي فَجْوَةٍ بَيْنَ حُرُوفٍ لَا تُعْرِفُنِي".

د- صياغة صور فنيّة مستحدثة:

أصبحت لغة الشعر النسوي أكثر رمزيّةً وتشظيًّا عاكسةً -بذلك- تعقيدات الهوية الجزائرية؛ ففي ديوان "رماد الأنثى" لنادية مرسللي، تُصوّر المرأة كـ"نارٍ تاكل تاريخها القديم" لتبني ذاتًا جديدة.

7. التحديات والآفاق المستقبلية للشعر النسوي في الجزائر:

7.1 التحديات الاجتماعية والثقافية:

أ- الرقابة الضمنية:

يواجه الشعر النسوي الجزائري تحدياتٍ عميقةً تنبع من السياق الاجتماعي والمؤسّساتي؛ حيث تُمارَس رقابة ضمنية تُحاصر الأصوات النسوية عبر تهميشها في الفعاليات الثقافية الرسمية أو حرمانها من الدعم المادي، لصالح خطابٍ وطنيٍّ أحاديٍّ يُعيد إنتاج الصور النمطية عن المرأة كحارسةٍ للتراث دون تمكينها من مساءلته، (Lazreg, 1994, p: 112)؛ فالمؤسّسات الثقافية التقليدية، التي تهيمن عليها الذكورية، تُفضل الأعمال التي تكرّس السرديات التاريخية المجتزأة، مما يُضطر الشاعرات إلى النشر عبر منصاتٍ مستقلةٍ أو رقميةٍ هربًا من الإقصاء. (صالح، 2016، ص: 15-20). والحق أنّ هذا كان في ماضى؛ ففي الراهن كفل الدستور الجزائري للمرأة حقّها في حرّية التعبير، و الترشّح للمجالس المحليّة والمجلس الوطني، كما صارت تُقام مهرجانات وأيام وطنية أدبيّة -في الشعر والسرد- لا صوت فيها فوق صوت المرأة.

ب- الأحكام الجاهزة:

تتمثّل في اتهام الشاعرات بـ"الانحراف" أو "تخريب القيم" عندما يتناولن قضايا مثل الجنسانية أو الدين، كما حدث مع قصيدة "جسدٌ يُصلّي" لـ"سهام بوعلام" التي اتّهمت بـ"التهجم على المقدّسات" لمجرد تصويرها الجسد الأنثوي كفضاءٍ للعبادة الذاتية، (Boualam, 2019, p: 440)؛ هذا الحكم لا يُقلل من انتشار النصوص فحسب، بل يُهدّد مكانة الشاعرات الاجتماعية، ويُحوّلن إلى هدفٍ لهجماتٍ تستخدم الخطاب الديني أو الأخلاقي ذريعةً لقمع حرية التعبير. (Bennoune, 2013, p: 150)

7.2 مستقبل الشعر النسوي في ظل التغيرات السياسية والاجتماعية:

إنّ تغيّر المشهد السياسي في الجزائر بعد الحراك الاجتماعي -العام 2019- دفع الشعر النسوي لأن يكون وسيلةً حيويةً تربط المطالب الجندرية بالتحوّلات السياسية الكبرى، (Khalil, 2021, p: 14)؛ ففي قصيدة "هتافات الحرية" لـ"سهام بوعلام" تُصوّر الشاعرة الشارع الجزائري كفضاءٍ تُسمّع فيه أصوات النساء بقوة:

"نَحْنُ لَسْنَا زَيْنَةَ الثَّوْرَةِ، نَحْنُ نَارُهَا الَّتِي تَأْكُلُ الظُّلُمَاتِ".

هذا الاندماج بين الخطاب النسوي والوطني يُشير إلى تحوُّل جذريّ في دور الشعر، من مجرد تعبير فردي إلى أداة جماعية لصنع التغيير. (Cooke, 2001, p: 92)؛ الأمر الذي يجعل النقاد والباحثين يأملون غداً واعدوا للشعر النسوي؛ إذ سيكون جسراً بين الحركات النسوية والسياسية؛ عبر توثيق التضحيات النسائية في الثورات وإبرازها في السرد الوطني. كما سيكون أرشيفاً حيّاً للذاكرة الجماعية؛ يحفظ تجارب النساء في مواجهة القمع المزدوج (السلطة والمجتمع). وكذلك منصةً لتعزيز الحوار بين الأجيال؛ عبر تفاعل الشاعرات الشابات مع إرث الرائدات، وخلق لغةٍ شعريّةٍ تواكب التحولات على شتى الأصعدة. (Djebar, 1992, p: 73)

8. خاتمة:

في ظل التحولات العميقة التي تعيد تشكيل الهويات الثقافية والاجتماعية في العالم العربي، يتجاوز الشعر النسوي الجزائري المعاصر كونه مجرد انعكاس للواقع، ليصبح فعلاً إبداعياً يمهد لإعادة تشكيله؛ لقد أظهرت هذه الدراسة كيف حوّلت الشاعرات الجزائريات القصيدة من مساحة بوح فردي إلى مشروع تحرّري يتحدّى الخطاب المهيمنة - سواء كانت ذكورية أو استعمارية - في سعي لإعادة رسم ملامح الوجود الأنثوي داخل فضاء ثقافي أكثر إنصافاً.

كما خلّصت الدراسة إلى: أنّ الشاعرات تمكّن من كسر الثنائيات التقليدية (الشرقي/الغربي، الذكوري/الأنثوي) عبر توظيف الانزياح اللغوي وإعادة كتابة السرديات التاريخية، ممّا أعاد الاعتبار لدور المرأة في الثورة الجزائرية كفاعلة. وأنّهنّ (الشاعرات الجزائريات) حوّلن الجسد الأنثوي من "تاء خجل" - بتعبير فضيلة الفاروق - إلى "تاء فخر واعتزاز" - بتعبير الباحث -؛ يعكس جراح الاستعمار، والاضطهاد الذكوري. ولم يعد الشعر النسوي حبيس اللغة العربية الفصحى، بل تبنّت الشاعرات لغةً هجينة تعكس التعددية الثقافية الجزائرية. وقد ربطن بين النضال النسوي والحراك الشعبي.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

- الزواوي، أمينة، (2019) هجنة الألسن: الشعر ما بعد الاستعماري في الجزائر، الجزائر، منشورات البرزخ..
- الزواوي، أمينة، (2021)، جِجْري لَيْسَ سَجْناً، وهران، منشورات البصائر.
- السعداوي، نوال، (2001)، المرأة والجنس، القاهرة، دار المستقبل العربي.
- صالح، زاهية، (2016)، "النوع الاجتماعي والهوية الوطنية في الأدب النسوي الجزائري"، مجلة الدراسات الثقافية الأفريقية، العدد 28، ص: 15-62.
- عبد الحليم، محمد، (2005)، "التمرد في الشعر النسوي العربي: قراءة في تجارب نازك الملائكة وفدوى طوقان"، مجلة النقد الأدبي، العدد 7، ص: 121-143.
- الفاروق، فضيلة، (2015)، نساء الظل، الجزائر، دار الحوار.
- الفاروق، فضيلة، (2017)، مختارات من الشعر النسوي الجزائري، الجزائر: دار الحكمة.
- الفاروق، فضيلة، (2019)، أغنيات لجبل شيليا، مجلة الأصالة، الجزائر، مجلد 3/عدد 2، ص: 14-16.
- فانون، فرانز، (2004)، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي، دمشق: دار الطليعة.
- مرسل، نادية، (2020)، أنا تين هينان، الجزائر: دار الحوار.
- مرسل، نادية، (2015) ذاكرة الرماد، الجزائر، منشورات الاختلاف،

- مرسللي، نادية، (2018) "الشعر الجزائري والهوية اللغوية"، مجلة الأدب المغاربي، العدد 15، ص: 62-77.
- المرنيسي، فاطمة، (1991) الحریم السياسي ، بيروت: دار الساقی.
- المرنيسي، فاطمة، (1995)، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية ، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- الملائكة، نازك، (1962)، قضايا الشعر المعاصر ، بيروت، دار العلم للملايين.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

- Amireh, Amel, (2000), The Factory Girl and the Seamstress (Cairo: AUC Press,).
- Bhabha, Homi K, (1994), The Location of Culture (London: Routledge.
- Djebbar, Assia, (1992) Women of Algiers in Their Apartment (Charlottesville: University of Virginia Press.
- Khalil, Andrea, (2021),. "Women's Political Participation in Algeria's Hirak," Middle East Report, no. 297
- Mohanty, Chandra Talpade, (2003), Feminism Without Borders (Durham: Duke University Press,
- Said, Edward, (1978), Orientalism ,New York: Vintage.
- Spivak, Gayatri, (1988), Can the Subaltern Speak? (London: Macmillan.
- Bennoune, Karima, (2013) Your Fatwa Does Not Apply Here: Untold Stories from the Fight Against Muslim Fundamentalism (New York: W.W. Norton & Company).
- Lazreg, Marnia, (1994), The Eloquence of Silence: Algerian Women in Question (New York: Routledge,).
- Cooke, Miriam, (2001), Women Claim Islam: Creating Islamic Feminism Through Literature (New York: Routledge).
- Boualam, Siham, (2019) "The Body as a Site of Resistance: Algerian Feminist Poetry in the 21st Century," Journal of North African Studies, vol. 24, no. 3.